دفين « لاكرونيه »

للشاعر الأرلندي تشارلز وولف

بقلم الأستاذ محمود عزت عرفه

[لاكرونيه ميناء على الساحل الشمالي الغربي من أسبانيا ، ودفينها هو السير « جون مور » أحد كبار قواد الانجليز في حرب شبه الجزيرة . وكان قد التقى بالفرنسيين عند هذا الموقع وهو يحاول الارتداد إلى الساحل يوم ١٦ يناير ١٨٠٩م فانتصر عليهم وأوقف زحفهم ... ولكنه أصيب بقذيفة من مدفع ، ومات متأثراً منها في مساء اليوم نفسه . وقد احتفل الانجليز بتشييعه — في منتصف الليل — احتفالا صامتاً مؤثراً ، ودفن تحت أسوار مدينة لاكرونيه ...

أما تشارلز وولف صاحب هذه القصيدة فهو شاعر أرلندي عاش بين عامي ١٧٩١ و ١٨٢٣ م . ولم ينشر من شعره إلا على مقطوعات قليلة ؛ أهمها وأجودها جميعاً هذه القطعة التي كفلت — وحدها — لاسمه الشهرة والخلود]

مضينا بجثمانه إلى القبر حثيثاً ؛ فما دوّى لطبلٍ صوت ، ولا ارتفع لترنيمةٍ صدى ...

وأودعناه مقرّه الأبدي في سكينة وهدوء لم يكدرهما جنديٌّ يقذف تحيةً ، أو طلقة وداع .

كان ذلك والليل مظلم الرقعة حالك الجلباب ؛ فما أضاءتْ لنا فيه إلا خيوط من شعاع القمر واهية ، وإلا أقباسٌ متضائلة من مصباحنا الخافت ...

وقد أضجعناه بثوبه العسكري الذي مات فيه ، فيدا كجندي يستجمّ بعد طول جهاد ؛ ولم نُرِدْ أن نوشح صدره أو نلفّ جثمانه في هذه الأسمال البالية التي يسمونها الأكفان ...

كانت صلاتنا عليه قصيرة ومقتضبة ، رتّلناها في تأثر وإيمان ؛ أما كلمات الحسرة والألم المألوفةُ في مثل هذا المقام ، فما فُهْنا منها بكلمة ! !

لقد تعلقت أعيننا في سكون بهذا الوجه الشاحب ؛ بينما اتجهت بنا الأفكار إلى الغد المجهول في مرارة وأسى .

كنا نفكر — ونحن نشق له لحده الضيق ونمهد له وساداً من التراب — في العدوّ الذي سيطأ هذا الرفات الطاهر بقدميه ؛ والأجنبيّ الذي سيمرّ فوقه ثانيَ عطفه ... بعد أن نصبح نحن بمنأى عنه فوق أثباج هذا الخضم الجائش !

... سيتحدثون باستخفافٍ عن روحه الكريمة التي صعدت إلى بارئها ؛ وفوق رفاته الهامد سينبزونه بكلمات ملؤها السخرية والإفحاش ؛ ولكن عبثاً يحاولون تحريكه أو إقلاق سُباته في هذا المضجع الذي سوّته له أيدينا بعناية ورفق .

فكّرنا في كل هذا ... ثم أقبلنا نواصل العمل في مهمتنا الشاقة المؤلمة ، حتى دقّ لجأة ناقوس الخطر مؤذناً بالانسحاب ؛ وسمعنا دوي المدافع التي راح العدوّ يصب قذائفها من مدىً شاسع ... وعلى غير هدى . فأضجعناه في أناةٍ وحَزَن ؛ ثم انصرفنا وقد أخلينا منه ساحةَ مجده التي ما زالت بدمه مخضوبة ...

لم نخُطَّ على قبره حرفاً ؛ ولم نُقِم فوقه تذكاراً أو نرفعْ نصباً ؛ بل خلفناه في مضجعه فريداً مستوحشاً ... وهيهات أن ينفرد أو يستوحش من كان له المجد جليساً ، والخلود صاحباً وأنيساً !

(جرجا) محمود عزت عرفه

مجموعات الرسالة

تباع مجموعات (الرسالة) مجلدة بالأثمان الآتية : السنة الأولى في مجلد واحد ٧٠ قرشاً ، و ٧٠ قرشاً عن كل سنة من السنوات : الثانية والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة والثامنة والتاسعة في مجلدين . وذلك عدا أجرة البريد وقدره خمسة قروش في الداخل وعشرة قروش في السودان وعشرون قرشاً في الخارج عن كل مجلد .